القول السديد

فيما يجب لله على العبيد

تأليف العالم العلامة الشيخ

محمد بن عبد العزيز آل مانع الحنبلي النجدي

١٣٠٠ - ١٣٨٥ هـ

مع حاشيته

النهج الرشيد على القول السديد

لراجي عفو ربه الجليل

محمد بن عبد الرحمن بن حسين آل إسماعيل

مكتبة الرشد

الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـــد لله رب العـالمين، والصـلاة والسـلام على أشـرف المرسلين، وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

فاعلم أنه يجب على كل مسلم مكلف أن يتعلم ثلاثة أصول، وهي: معرفة العبد ربه ودينه ونبيه.

وهذه الثلاثة هي التي يسأل عنها الإنسان في القبر بعد الموت.

●●●●●

الأصل الأول

● **سؤال: إذا قيل لك: من ربك؟**

*** جواب: فقل: ربي الله، الذي رباني بنعمته، وخلقني من عدم إلى وجود[1].**

---

(١) أي: هو الذي خلقني وأوجدني من العدم ورباني بنعمه الظاهرة والباطنة.

والرب: هو المالك المتصرف، ويطلق في اللغة على السيد وعلى المتصرف للإصلاح، وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى.

ولا يستعمل الرب لغير الله، بل بالإضافة، تقول: رب الدار، وأما الرب؛ فلا يقال إلّا لله عزَّ وجلَّ.

عمّت تربيته جميع الكائنات، وأعطى كل شيء نهاية ما يطلبه استعداده ومركزه في مراتب الوجود، وهٰذا هو الإنسان، الذي جعله الله في أقصى درجات الوجود المادي، ومنحه مركز الخلافة في الأرض؛ فرباه فوق هٰذه التربية الجسمية الكونية تربية نفسية وعقلية، ثمّ ربّاه تربية تشريعية، سبيلها الوحي وبعث الرسل.

وكما أنه لا شريك له في تربية الوحي والتشريع، وكما أنه ليس لأحد أن يزعم لنفسه نصيباً في الخلق أو حقّاً فيه؛ فليس لأحد أن يزعم لنفسه نصيباً في التشريع والتحليل والتحريم. =

والرب هو المالك المتصرف، ومعنى الله[1]:

= ومن هنا كان لله في خلقه عامة تربيتان: تربية خلقية، وأخرى تشريعية، وقد انتظمها قوله تعالى: ﴿ربِّ العالَمينَ﴾.

وفي ذلك إيحاء قوي إلى أن يُعمِل الإنسان عقله في هٰذا العالم؛ ليدرك نواحي هاتين التربيتين اللتين جعلتا مناط استحقاق الله للحمد واختصاصه بالثناء؛ فعلى العبد لذلك أن يبحث أسرار الله في نفسه وفي الحيوان وفي النبات وفي الجماد وفي السماء وفي الأرض وفي الماء وفي الهواء وفي كل ما خلق الله من شيء، وعليه أن يبحث في طبيعة العقل البشري، وما يعرض له من وجودَ الزلل إذا استقل بالنظر إلى الأشياء والآراء والأفهام، وما هو بحاجة إليه من تشريع إلٰهي يعصمه ويؤازره في إدراك الحق والعمل بالحق.

وقد صرّح القرآن الكريم بهٰذا الإيحاء في هٰذه الآيات الكثيرة التي تحث على النظر في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء؛ كي يدرك الإنسان جهات التربية، ويؤمن عن علم وبرهان أن الله سبحانه هو ربّ العالمين، وأنه المستحق للحمد والثناء.

﴿فَانْظُرْ إلى آثارِ رَحْمَةِ اللهِ﴾.

﴿وفي الأرْضِ آياتٌ للموقِنينَ . وفي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرونَ﴾.

(١) قوله: «ومعنى الله»:

الله: علم على الرب تبارك وتعالى، يقال: إنه الاسم الأعظم؛ لأنه يوصف بجميع الصفات.

كما قال تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الذي لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَةِ هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحيمُ . هُوَ اللهُ الذي لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكونَ . هُوَ اللهُ الخالِقُ البارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْماءُ الحُسْنَى يُسَبِّحُ لهُ ما في السَّماواتِ والأَرْضِ وهُوَ العَزيزُ الحَكيمُ﴾.

فأجرى الأسماء كلها صفات له. =

ذو الألوهية والعبودية[1] على خلقه أجمعين.

● سؤال: وإذا قيل لك: بأي شيء عرفت ربك؟

*** جواب: فقل: بآياته ومخلوقاته؛ منها: الليل والنهار، والشمس والقمر... وغير ذلك[2].**

= كما قال تعالى: ﴿ولِلهِ الأسْماءُ الحُسْنى فادْعوهُ بِها﴾.

قال القرطبي: ثم قيل: هو مشتق من وله: إذا تحيّر، والوله: ذهاب العقل، يقال: رجل واله وامرأة ولهى ومولوهة؛ فالله تعالى يحيّر أولئك في الفكر في حقائق صفاته.

وقال الرازي: وقيل: إنه مشتق من ألهت إلى فلان؛ أي: سكنت إليه؛ فالعقول لا تسكن إلا إلى ذكره، والأرواح لا تفرح إلا بمعرفته؛ لأنه الكامل على الإطلاق دون غيره؛ قال تعالى: ﴿أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلوبُ﴾.

(١) قوله: «العبودية»: وهي في الشرع عبارة عمّا يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف.

فمن عرف فوائد العبادة؛ طاب له الاشتغال بها، وثقل عليه الاشتغال بغيرها؛ لأن الكمال محبوب لذاته، وأكمل أحوال الإنسان انشغاله بخدمة مولاه؛ فإنه يستنير قلبه بنوره.

والعبودية أشرف المقامات، ولهذا مدح الله نبيه في قوله: ﴿سُبْحانَ الَّذي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾، وافتخر عيسى أول ما نطق، فقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللهِ﴾.

(٢) لو تأمل الإنسان العاقل في هذا الكون بتأمل وإمعان وإنصاف؛ لأحسّ بأن لهذا الكون خالقاً عظيماً ذا حكمة وإرادة وقدرة وعلم شامل، ولأدرك أن قدرة هذا الخالق فوق كل القدر، بل لو تأمل الإنسان في نفسه؛ في تكوينه، في جسمه؛ لأدرك ذلك.

فالمسلم يؤمن بالله تعالى، ويصدق بوجود الرّب تبارك وتعالى، وأنه سبحانه =

● **سؤال: وإذا قيل لك: وما الدليل على ذلك؟**

* **جواب: فقل: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ في سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلى العَرْشِ﴾**[1].

● **سؤال: وإذا قيل لك: لأي شيء خلقك الله؟**

= فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشَّهادة.

فوجود هٰذه العوالم المختلفة، والمخلوقات الكثيرة المتنوعة؛ يشهد بوجود خالقها، وهو الله عزَّ وجلَّ؛ إذ ليس في الوجود من ادَّعى خلق هٰذه العوالم وإيجادها سواه.

كما أن العقل البشري يحيل وجود شيء بلا موجد، بل إنه يحيل وجود أبسط شيء بلا موجد؛ فكيف بهٰذه العوالم الضخمة الهائلة من سماء وما حوت من أفلاك وشمس وقمر وكواكب، وكلها مختلفة الأحجام والمقادير والأبعاد والسير، وأرض وما خلق فيها من إنسان وجان وحيوان، مع ما بين أجناسها وأفرادها من تباين في الألوان والألسن، والاختلاف في الإدراك والفهوم والخصائص والعلامات، وما أودع فيها من معادن مختلفة الألوان والمنافع، وما أجرى فيها من أنهار، وما أحاط يابسها من بحار، وما أنبت فيها من نبات وأشجار؛ تختلف ثمارها، وتتباين أنواعها وطعمها ورائحتها وخصائصها وفوائدها.

(١) ومن أعظم الدلائل والمعرِّفات التي تعرَّف بها سبحانه إلى عباده: خلقُ السماوات والأرض من غير مثال سابق، وتقدير أقواتها فيها في ستة أيام.

وأصل الخلق: إيجاد المعدوم على تقدير واستواء، وإبداعه من غير أصل سابق ولا ابتداء متقدم.

قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّماواتِ والأَرْضِ﴾.

وقال: ﴿فاطِرِ السَّماواتِ والأَرْضِ﴾.

*** جواب: فقل: لعبادته وحده[1] لا شريك له[2]، وعبادته طاعته: باتباع أمره[3]، واجتناب نهيه.**

ومن أنواعها الدعاء، وهو مخ العبادة[4]؛ فلا يدعى غير الله من الأموات والأشجار والأحجار والغائبين[5]، فمن دعا غير الله؛ فهو مشرك.

---

(١) أي: لم يوجد الله سبحانه الثقلين؛ إلا لحكمة عظيمة، وهي عبادته.

قال تعالى: ﴿وَما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنْسَ إلاَّ لِيَعبُدونِ﴾.

(٢) وأعظم ما أمر الله به التوحيد، وأنه وحده المستحق للعبادة، لا شريك له.

قال تعالى: ﴿واعْبُدوا اللهَ ولا تُشْرِكوا بِهِ شَيْئاً﴾.

والشرك أعظم ذنب عُصِيَ اللهُ به.

(٣) قال تعالى: ﴿وما أُمِروا إلاَّ لِيَعْبُدوا اللهَ مُخْلِصينَ لهُ الدِّينَ حُنَفاءَ ويُقيموا الصَّلاةَ ويُؤْتوا الزَّكاةَ وذٰلِكَ دينُ القَيِّمَةِ﴾.

(٤) قوله: «**الدعاء مخ العبادة**»: هٰذا قول المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، ومخ الشيء: خالصه، وفي لفظ «الدعاء هو العبادة».

وأتى ﷺ فيه بضمير الفصل والخبر المعرف بالألف واللام؛ ليدل على الحصر، وأن العبادة ليست غير الدعاء، وإنما هي الدعاء نفسه.

(٥) قال تعالى: ﴿ومَنْ يَدْعُ معَ اللهِ إلٰهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ فإنَّما حِسابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إنَّهُ لا يُفْلِحُ الكافِرونَ﴾.

لأنه لا حجة لأحد في دعوى الشرك، ولا برهان له به؛ فإن الله يحاسبه على ذٰلك، فيجازيه بما يستحقه على شركه.

ثم أخبر أنه لا يفلح الكافرون، فسماهم كافرين؛ لدعائهم مع الله غيره، ولا ينازع مسلم في كفر من دعا مع الله غيره. =

والدليل قوله تعالى: ﴿ولا تَدْعُ مِنْ دونِ اللهِ ما لا يَنْفَعُكَ ولا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمينَ﴾، والظلم هنا هو الشرك؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظيمٌ﴾.

● سؤال: وإذا قيل لك: ما الدليل على ذلك؟

*** جواب: فقل: قوله تعالى: ﴿وما خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدونِ﴾؛ أي: يوحدون.**

● سؤال: وإذا قيل لك: كم أقسام التوحيد؟

*** جواب: فقل: ثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.**

فتوحيد الربوبية(١): أن لا خالق ولا رازق إلا الله.

= وفي الآية أوضح برهان على كفر من دعا مع الله غيره؛ سواء أكان المدعو ملكاً أو نبيّاً أو شجرة أو قبراً أو جنيّاً.

(١) يؤمن المسلم بربوبيته تعالى لكل شيء، وأنه لا شريك له في ربوبيته لجميع العالمين، وذلك لهداية الله تعالى له أولاً، ثم للأدلة العقلية.

فمن الأدلة النقلية:

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ والأَرْضِ قُلِ اللهُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُل من ربُّ السَّماواتِ السَّبْعِ ورَبُّ العَرْشِ العَظيمِ. سَيَقولونَ لِلهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقونَ﴾.

وإخبار الأنبياء والمرسلين بربوبيته تعالى، وشهادتهم عليها، وإقرارهم بها؛ فآدم عليه السلام قال في دعائه: ﴿رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وتَرْحَمْنا لَنَكونَنَّ مِنَ الخاسِرينَ﴾. =

وتوحيد الألوهية[1]: هو إفراده تعالى بالعبادة.

= فتفرد الله تعالى بالملك لكل شيء، وتصرفه المطلق في كل شيء، وتدبيره لكل شيء: دالٌّ على ربوبيته؛ إذ من المسلَّم به لدى كافة البشر أن الإنسان كغيره من الكائنات الحية في هٰذا الوجود، لا يملك على الحقيقة شيئاً؛ بدليل أنه يخرج أول ما يخرج إلى هٰذا الوجود عاري الجسم حاسر الرأس حافي القدمين، وإذا بطل أن يكون الإنسان مالكاً لشيء منها؛ فمن المالك إذن؟ المالك هو الله، والله وحده، وبدون جدل ولا شك ولا ريب، وما قيل في الملكية يسلم كذٰلك في التصرف والتدبير لكل شأن من شؤون هٰذه الحياة.

ولعمر الله إذاً لهي صفات الربوبية: الخلق، والرزق، والملك، والتصرف، والتدبير.

وقديماً قد سلمها أكابر الوثنيين من عبدة الأصنام، سجل ذٰلك القرآن الكريم في غير سورة من سوره:

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُم مِنَ السَّماءِ والأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصارَ ومَنْ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ ويُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ ومَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيقولونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقونَ. فذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الحَقُّ فَماذا بَعْدَ الحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ﴾.

(١) توحيد الألوهية: هو أن الله لا إلٰه غيره، ولا معبود بحق سواه، وذٰلك للأدلة النقلية والعقلية:

فمن الأدلة النقلية: شهادته تعالى وشهادة ملائكته وأولي العلم على ألوهيته سبحانه وتعالى:

فقد جاء في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ والمَلائِكَةُ وأولو العِلْمِ قائِماً بالقِسْطِ لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ العَزيزُ الحَكيمُ﴾.

وقال تعالى: ﴿وإِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ واحِدٌ لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحيمُ﴾.

وقال لنبيه موسى عليه السلام: ﴿إِنَّني أَنا اللهُ لا إِلٰهَ إِلَّا إِنا فَاعْبُدْني﴾.

ودعوة رسله عليهم السلام أممهم إلى الاعتراف بألوهيته وحده دون سواه: =

وتوحيد الأسماء والصفات(١): أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ؛ نفياً وإثباتاً.

= فإن نوحاً عليه السلام قال: ﴿يا قَوْمِ اعْبُدوا اللهَ مَا لَكُمْ مِن إلٰهٍ غَيْرُهُ﴾.

وكان نبينا محمد ﷺ يقول في تشهده في الصلاة: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له».

ومن العقل؛ فإن ربوبيته تعالى الثابتة دون جدل مستلزمة لألوهيته وموجبة لها؛ فالرب الذي يحيي ويميت، ويعطي ويمنع، وينفع ويضر: هو المستحق لعبادة الخلق، والمستوجب لتأليههم له بالطاعة والمحبة والتعظيم والتقديس، وبالرغبة إليه والرهبة منه.

وإذا كان كل شيء من المخلوقات مربوباً لله تعالى؛ بمعنى أنه من جملة من خلقهم ورزقهم ودبر شؤونهم وتصرف في أحوالهم وأمورهم؛ فكيف يعقل تأليه غيره من مخلوقاته المفتقرة إليه؟!

وإذا بطل أن يكون في المخلوقات إله؛ تعيَّن أن يكون خالقها هو الإله الحق والمعبود بصدق.

واتصافه عزَّ وجلَّ دون غيره بصفات الكمال المطلق؛ ككونه تعالى قويّاً قديراً عليّاً كبيراً سميعاً بصيراً رؤوفاً رحيماً لطيفاً خبيراً: موجب له تأليه قلوب عباده له بمحبته وتعظيمه، وتأليه جوارحهم له بالطاعة والانقياد.

(١) أما توحيد الأسماء والصفات؛ فهو الإيمان بأن لله تعالى أسماء حسنى وصفات عليا.

فيصف أهل السنة والجماعة الله تعالى بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ؛ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يؤمنون بأن الله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾؛ فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسمائه وآياته، ولا يكيفون، ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سميَّ له ولا كفء له =

● **سؤال: وإذا قيل لك: ما أعظم ما أمر الله به؟ وما أعظم ما نهى عنه؟**

جواب: فقل: أعظم ما أمر الله به التوحيد، الذي هو إفراد الله بالعبادة(١).

= ولا ندَّ له ولا يقاس بخلقه.

فهو سبحانه وتعالى أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً من خلقه.

قال الشيخ الفقيه محمد بن إبراهيم آل مبارك التميمي المالكي الأحسائي رحمه الله: وينتهي الموحدون إلى إثبات صفاته التي وصف بها نفسه المقدسة، ولا يتجاوزون إلى الخوض في ذلك وحَدِّه، كما لا يتجاوزون إلى التعطيل بجحده أو ردِّه؛ فكما أن ذاته المقدسة لا تشبه الذوات؛ فكذلك صفاته الكريمة لا تشبه الصفات.

فيجب على المؤمن أن يعتقد أن ما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة من ذكر اليد واليمين والمجيء والنزول والاستواء وغيرذلك مما أخبر به تعالى عن نفسه: صفات كمال، لائقة بجلاله، ولا يعلم كيفيتها أحد من خلقه؛ كما هو مذهب سلفنا الصالح... إلخ.

انتهى من رسالته «ما يجب على المكلف من الاعتقاد» (ص ١١).

(١) الإسلام يقرر في جانب الإله الوحدانية الشاملة لـ:

وحدانية الربوبية؛ فلا خالق ولا مدبر ولا متصرف سواه.

ووحدانية الألوهية؛ فلا معبود ولا مسؤول ولا مستعان سواه.

وكثيراً ما يستدل بوحدانية الربوبية التي تشهد بها الفطر ويعترف بها الإنسان في كثير من حالاته على وحدانية الألوهية:

﴿يا أيُّها النَّاسُ اعْبُدوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُمْ والَّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقونَ . =

وأعظم ما نهى عنه الشرك، وهو دعوة غيره معه[1].

ودليل الأمر: قوله تعالى: ﴿وما أُمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدوا اللهَ مُخْلِصينَ

= الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ فِراشاً والسَّماءَ بِناءً وأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلوا للهِ أَنْداداً وأَنْتُمْ تَعْلَمونَ﴾.

﴿والَّذينَ يَدْعونَ مِنْ دونِ اللهِ لا يَخْلُقونَ شَيْئاً وهُمْ يُخْلَقونَ. أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْياءٍ وما يَشْعُرونَ أَيَّانَ يُبْعَثونَ. إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ واحِدٌ﴾.

(١) وقد نعى القرآن الكريم على من عدّد الإله؛ فاتخذ إلهين اثنين، أو اتخذ التثليث، أو عبد شيئاً من الخلق كالشمس والقمر والأصنام... وحرك عقول المعددين للإله إلى النظر فيما يوجب وحدة المعبود وحدة تامة كاملة:

قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَما يَقولونَ إِذاً لابْتَغَوْا إِلى ذي العَرْشِ سَبيلاً﴾.

وقال: ﴿لَوْ كانَ فيهِما آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتا فَسُبْحانَ اللهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿ما اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِما خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ فَسُبْحانَ اللهِ عَمَّا يَصِفونَ. عالِمِ الغَيْبِ والشَّهادَةِ فَتَعالى عَمَّا يُشْرِكونَ﴾.

ومنشأ ضلالهم: ضعف العقول القاصرة، التي لم تبلغ الرشد والكمال؛ لتستطيع أن تفكر تفكيراً سليماً في مظاهر الكون وصفحات الوجود، فتتمكن من معرفة أنظمتها وعلاقتها بالخالق وارتباطها به ودلالتها عليه، بما ألبسها من دقة الصنع والإحكام، وبديع التنظيم والإتقان، وما أسبغ عليها من كمال الفطرة التي جعلتها متماسكة الوحدات مترابطة الحلقات يتمم بعضها بعضاً، كل جزء يقوم بعمل، وكل نوع منها له وظيفة، وكل جرم فضائي في فلك، وكل كوكب سماوي في دوران، يترابط مجموعها بقانون جذبي عام، ويسودها نظام محكم، لا ينتابه زلل، ولا يعتريه خلل.

لَهُ الدِّينَ﴾.

ودليل النهي: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشاءُ﴾.

● سؤال: وإذا قيل لك: ما أول ما فرض الله عليك؟

* جواب: فقل: الإيمان بالله، والكفر بالطاغوت.

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنا في كُلِّ أُمَّةٍ رَسولاً أَنِ اعْبُدوا اللهَ واجْتَنِبوا الطَّاغوتَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغوتِ وَيُؤْمِنْ باللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقى﴾، وهي: لا إله إلا الله.

ومعنى الإيمان بالله: أن تعتقد أنه هو الإله المعبود، الذي لا يستحق العبادة أحد سواه.

ومعنى الكفر بالطاغوت: أن تعتقد بطلان عبادة غير الله.

والطاغوت: اسم لكل ما عبد من دون الله، ورضي بذلك، أو حكم بغير ما نزَّل الله، والشيطان أكبر الطواغيت، وكل رأس في الضلالة؛ كالدعاة إلى عبادة الأموات وإنكار الصفات[1].

---

(١) على المسلم أن يؤمن بألوهية الله تعالى للأولين والآخرين، وربوبيته لجميع العالمين، وأنه لا إله غيره، ولا رب سواه؛ فلذا هو يخص الله تعالى بكل العبادات التي شرعها لعباده وتعبَّدهم بها، ولا يصرف منها شيئاً لغير الله تعالى؛ فإذا سأل؛ سأل الله، وإذا استعان؛ استعان بالله، وإذا نذر؛ لا ينذر لغير الله؛ فلله وحده جميع أعماله الباطنة؛ من: خوف، ورجاء، وإنابة، ومحبة، وتعظيم، وتوكل. والظاهرة؛ من: صلاة، وزكاة، وصيام، وحج، وجهاد. =

. . . . . .

= وإخبار رسوله ﷺ بذلك في قوله لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لمّا بعثه إلى اليمن: «فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله تعالى». متفق عليه.

وفي قوله ﷺ أيضاً: «يا معاذ! أتدري ما حق الله على العباد؟». قال: الله ورسوله أعلم. قال: «أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً».

فتفرد الله تعالى بالخلق والرزق والتصرف والتدبير يوجب عبادته وحده لا شريك له في شيء منها.

فجميع المخلوقات مربوبة له تعالى، مفتقرة إليه، فلم يصلح شيء منها أن يكون إلٰهاً يعبد معه تعالى.

وكون من يدعى أو يستغاث به أو يستعاذ لا يملك أن يعطي أو يغيث أو يعيذ من شيء؛ يوجب بطلان دعائه أو الاستغاثة به أو النذر له أو الاعتماد والتوكل عليه.

ومعنى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغوتِ ويُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقى لا انْفِصامَ لَها واللهُ سَميعٌ عَليمٌ﴾؛ أي: من خلع الأنداد والأوثان وما يدعو إليه الشيطان من عبادة غير الله، ووحد الله، وعبده وحده، وشهد أن لا إله إلا الله.

والطاغوت: الشيطان، فإنه يشمل كل شرٍّ كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان والتحاكم إليها والاستنصار بها.

وقوله تعالى: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقى لا انْفِصامَ لَها﴾؛ أي: فقد استمسك من الدين بأقوى سبب، وشبه ذٰلك بالعروة الوثقى، التي لا تنفصم؛ لأنها في نفسها محكمة مبرمة قوية، وربطها قوي شديد.

والعروة الوثقى: هي الإيمان والإسلام.

ولا تنافي بين من قال هٰذا ومن قال: هي لا إله إلا الله، أو: هي القرآن، أو: هي الحب في الله والبغض في الله، وكل ذٰلك صحيح.

وقدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله، وفي ذٰلك إشارة لطيفة إلى وجوب تطهير القلوب أولاً، ونزع ما فيها من الإيمان بالطاغوت، حتى إذا فرغت وطهرت؛ =

الأصل الثاني

● **سؤال: إذا قيل لك: ما دينك؟**

*** جواب: فقل: ديني الإسلام(١)، وهو تسليم الأمر لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك.**

= ملئت بالإيمان بالله، وتشربت بذلك، عندها لا يمكن إلا أن يكون الله حافظاً لها، فلا يستطيع أحد أن ينتزع هذا الإيمان الراسخ منها، فتتمسك بالعروة الوثقى.

قال الإمام المحقق ابن القيم رحمه الله: الطاغوت: ما تجاوز به العبد حدَّه من معبود أو متبوع أو مطاع، والطواغيت كثيرة، ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله، ومن عُبِد وهو راض، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن ادعى شيئاً من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله، وهذا معنى لا إله إلَّا الله.

(١) الإسلام هو دين الله الذي أوصي بتعاليمه في أصوله وشرائعه إلى النبي محمد ﷺ، وكلفه بتبليغه للناس كافة، ودعوتهم إليه.

وقد تلقى فيه محمد ﷺ عن ربه القرآن الكريم، فبلغه كما تلقاه، وبين بأمر الله وإرشاده مجمله، وطبقه بالعمل، ثم تلقاه عنه الناس جيلاً بعد جيل كما تلقاه هو عن ربه، حتى وصل إلينا كما نزل متواتراً لا ريب فيه.

قال سماحة والدنا الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز أطال الله عمره: ومما =

وهو ثلاث مراتب:

١ ـ الإسلام.

= جاء في السنة عن رسول الله ﷺ حديث جبريل المشهور، لمّا سأل النبي عليه الصلاة والسلام عن الإسلام والإيمان والإحسان، فذكر الإسلام أوّلاً، وفي لفظ بدأ بالإيمان بما يصلح الباطن؛ لأن الباطن هو الأساس، والظاهر تبع للباطن.

فسمى الأعمال الظاهرة إسلاماً؛ لأنها انقياد وخضوع له سبحانه، والإسلام هو الاستسلام لله والانقياد لأمره، فسمى الله الأمور الظاهرة إسلاماً؛ لما فيها من الانقياد لله، والذل له، والطاعة لأمره، والوقوف عند حدوده عزَّ وجلَّ، يقال: أسلم فلان لفلان؛ أي: ذلّ له وانقاد، ومعنى أسلمت لله؛ أي: ذللت له، وانقدت لأمره، خاضعاً له سبحانه وتعالى.

فالإسلام في عهد نوح عليه الصلاة والسلام هو الإيمان بالله، وتوحيده، وإخلاص العبادة له، وتصديق نوح عليه الصلاة والسلام، واتباع ما جاء به.

وهكذا في عهد هود وصالح وإبراهيم الخليل ومن جاء بعدهم من الرسل، هو توحيد الله، والإخلاص له، مع إيمان الأمة برسولها الذي أرسله إليها، واتباع ما جاء به.

وهكذا في عهد موسى ومن جاء بعده إلى عهد عيسى عليه الصلاة والسلام.

فلمّا بعث الله نبيه محمداً ﷺ؛ صار الإسلام الذي يرضاه الله هو ما بعث محمداً ﷺ من الإيمان به، وتوحيده، وإخلاص العبادة له، والإيمان برسوله محمد ﷺ، وما أنزل عليه من الكتاب والسنة، والإيمان بمن قبله من الأنبياء والرسل.

فكل من اتبعه وصدّق ما جاء به؛ فهو من المسلمين، ومن حاد عن ذلك بعدما بلغته الدعوة؛ فهو من الكافرين*.

---

* «مجموع فتاوى سماحته» (٣ / ١٨ ـ ٤٥).

٢ ـ والإيمان[١].

---

(١) الإيمان هو التصديق بالأمور الباطنة.

فالإسلام أخص بالأعمال الظاهرة التي يظهر بها الانقياد لأمر الله، والطاعة له، والانقياد لشريعته، وتحكيمها في كل شيء. والإيمان أخص بالأمور الباطنة المتعلقة بالقلب؛ من التصديق بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.

ولهذا لمّا سئل ﷺ عن الإيمان؛ قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره».

ففسر الإيمان بهذه الأمور الستة، التي هي أصول الإيمان، وهي في نفسها أصول الدين كله؛ لأنه لا إيمان لمن لا إسلام له، ولا إسلام لمن لا إيمان له.

فالإيمان بهذه الأصول لا بد منه لصحة الإسلام، لكن قد يكون كاملاً، وقد يكون ناقصاً.

ولهذا قال الله عز وجل في حق الأعراب: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾، فلما كان إيمانهم ليس بكامل، بل إيمان ناقص، لم يستكمل واجبات الإيمان؛ نفى عنهم الإيمان ـ يعني: الكامل ـ؛ لأنه ينفى عمن ترك بعض الواجبات؛ كما في قول النبي ﷺ: «لا إيمان لمن لا صبر له»، وقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، وفي قول النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فلا يؤذ جاره...» إلى غير ذلك.

والمقصود أن الإيمان يقتضي العمل الظاهر؛ كما أن الإسلام بدون إيمان من عمل المنافقين.

فالإيمان الكامل الواجب يقتضي فعل ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهى عنه الله ورسوله، فإذا قصّر في ذلك؛ جاز أن ينفى عنه ذلك الإيمان بتقصيره؛ كما نفي عن الأعراب بقوله تعالى: =

٣ ـ والإحسان[١].

وكل مرتبة لها أركان.

● سؤال: فإذا قيل لك: كم أركان الإسلام[٢]؟

= ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنوا ولٰكِنْ قولوا أَسْلَمْنا. . .﴾ إلخ*.

والإيمان بضع وسبعون شعبة (البضع من الثلاثة إلى التسعة)؛ فأعلاها: قول: لا إله إلّا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان.

(١) الإحسان: وهو المرتبة الثالثة، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه؛ فإنه يراك.

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن قاسم العاصمي النجدي في حاشيته على «ثلاثة الأصول»: أي: والإحسان هو أن تعبد الله ـ العبادة البدنية كالصلاة والمالية كالذبح ـ كأنك تشاهد معبودك الذي قمت بين يديه، وقربت له القربان، وأطعته فيما أمرك به؛ فإنه إذا انكشفت الحقيقة للقلب، وبلغ العبد في مقام المعرفة إلى حد، كأنه يطالع ما اتصف به الرب سبحانه من صفات الكمال ونعوت الجلال، وأحست الروح بالقرب الخاص الذي ليس كقرب المحسوس من المحسوس، حتى يشاهد رفع الحجاب بين روحه وقلبه وبين ربه؛ أفضى القلب والروح حينئذ إلى الرب، فصار يعبده كأنه يراه. انتهى**.

(٢) أي: وكل مرتبة من مراتب الدين الثلاث لها أركان لا تقوم إلّا عليها، وأركان الشيء أجزاؤه في الوجود التي لا يحصل إلّا بحصولها، وداخلة في حقيقته، سميت بذلك تشبيهاً لها بأركان البيت الذي لا يقوم إلّا بها؛ فمراتب الدين لا تتم إلّا بأركانها، ولا يستقيم إلّا بها، ولا يثبت بدونها، وما فقد منها؛ زال الإسلام بفقده. انتهى من «حاشية ابن قاسم على الأصول الثلاثة» (ص ٤٢).

---

* «مجموع فتاوى سماحته» (٣ / ١٨ ـ ١٩).

** (ص ٦٠).

* جواب : فقل : خمسة :

الأول : شهادة أن لا إله إلاّ الله ، وأنّ محمداً رسول الله .

والثاني : إقام الصلاة .

والثالث : إيتاء الزكاة .

والرابع : صوم رمضان .

والخامس : حج البيت الحرام مع الاستطاعة .

● سؤال : وإذا قيل لك : ما الدليل على هٰذه الخمسة؟

* جواب : فقل :

أمّا دليل الشهادة ؛ فقوله تعالى : ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ[1] والمَلائِكَةُ وأُولو العِلْمِ قائِماً بِالقِسْطِ لا إِلٰه إِلاَّ هُوَ العَزيزُ الحَكيمُ﴾ .

---

(١) أي : لا معبود بحق في الوجود إلاّ هو وحده ؛ فهو الإله الحق ، ومن ادعيت فيه الألوهية سواه ؛ فهو أبطل الباطل ، وأضل الضلال .

فالله : الإله الحق المستحق للعبادة وحده دون كل ما سواه .

وعبارات السلف في الشهادة تدور على الحكم والقضاء والإعلام والبيان والإخبار .

وذكر ابن القيم وغيره : أنه لا تنافي بينها ؛ فإن الشهادة تتضمن كلام الشاهد وخبره وقوله ، وتتضمن إعلامه وإخباره وبيانه .

وأول مراتبها علم ، ومعرفة ، واعتقاد لصحة المشهود به ، وتكلمه بذلك ، وإعلامه غيره بما شهد به ، وإلزامه بمضمونها .

وشهادته سبحانه لنفسه بالوحدانية والقيام بالقسط تضمنت هٰذه المراتب =

. . . . . .

= الأربع: علمه بذلك، وتكلمه به، وإعلامه وإخباره لخلقه به، وأمرهم وإلزامهم به.

فأما العلم؛ فالشهادة تتضمنه ضرورة.

ومن تكلم به؛ فقد شهد به.

ولفظ الشهادة يستعمل فيه الإعلام.

وتدل على الأمر.

وشهادته سبحانه هي أعظم شهادة في الوجود؛ أنه لا إله إلّا هو المنفرد بالإلٰهية، من أعظم شاهد، وهو الله سبحانه وتعالى وتقدس، على أعظم مشهود به، وهو وحدانيته جل وعلا؛ فإنه لا شهادة أجل ولا أعظم ولا أثبت من شهادته تعالى لنفسه بالألوهية.

وشهادة رب العالمين لا ينقضها شيء ألبتة.

وذكر الكلبي أن حبرين من أحبار الشام قدما على النبي ﷺ، فقالا: أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله. فأنزل الله هٰذه الآية، فأسلما.

قوله تعالى: ﴿والملائكة﴾؛ أي: الملائكة شهدوا لله بأنه لا إله إلّا هو؛ كما شهد الله بذٰلك لنفسه المقدسة.

﴿وأولو العلم﴾: شهدوا بذٰلك أيضاً؛ أنه لا إله إلّا هو، وفسرت بالإقرار وبالتبيين والإظهار.

واستشهادهم فيه تعديل وتزكية لأهل العلم؛ إذ ارتقوا إلى هٰذا المقام الذي استشهدهم الله تعالى فيه على وحدانيته عزَّ وجلَّ، ولينتفي جحد الجاحدين وانتحال المبطلين، وهٰذا فيه أعظم حاث لك على طلب العلم؛ فإن الله شهد، واستشهد الملائكة، واستشهد أهل العلم؛ ففي هٰذه الشهادة رفعة أهل العلم، حيث استشهدوا على ما شهد به رب العالمين، وأي ثناء أشرف من هٰذا الثناء عليهم، وتعديلهم، وشهادته لهم أنهم أولو العلم، وجعلهم حجة على من أنكرها؟

فدل على فضل العلم. =

وأما دليل الصلاة والزكاة؛ فقوله تعالى: ﴿وَيُقِيموا الصَّلاةَ وَيُؤتوا الزَّكاةَ وذٰلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ﴾[1].

= وفي الحديث: «يحمل هٰذا العلم من كل أمة عدولها»: وهٰذا أعظم مرغب في العلم، وإن زهد فيه الأكثرون.

والمراد العلم الشرعي، الذي هو نور القلوب وحياتها، وغيره علم نسبي إضافي: إما إلى أمور دنيوية، أو علوم حسابية وصناعية، أو غير ذٰلك... وأهله ليسوا من أهل العلم الذين استشهدهم الله؛ فلا يطلق هٰذا العلم إلّا على العلم الشرعي الديني.

وقوله تعالى: ﴿قائِماً بِالقِسْطِ﴾: شهد سبحانه أنه قائم بالعدل في توحيده، وبالوحدانية في عدله، والتوحيد والعدل هما جماع صفات الكمال.

فنظم الآية: شهد الله قائماً بالقسط أنه لا إله إلا هُو.

فـ ﴿قائماً﴾: نصب على الحال.

و﴿لا إلٰه إلَّا هُو﴾: توكيد لما سبق؛ لعظم شأن التوحيد.

ثم أثنى على نفسه المقدسة، فأخبر أنه العزيز الذي لا يرام جنابه عظمة وكبرياء، الحكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره.

فتضمنت هٰذه الآية الكريمة أجل شهادة وأعظمها وأعدلها وأصدقها، من أجل شاهد، بأجل مشهود به، وتضمنت توحيده تعالى، وعدله، وعزته، وحكمته.

انتهى من «حاشية ابن قاسم على ثلاثة الأصول» (ص ٤٤).

(١) أي: وما أمر الذين كفروا إلّا ليوحدوا الله ويفردوه بالعبادة حنفاء مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام.

قال ابن عباس: ما أمروا في التوراة والإنجيل إلّا بإخلاص العبادة له موحدين.

وقال تعالى: ﴿وما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسولٍ إلَّا نُوحي إلَيْهِ أَنَّه لا إلٰهَ إلَّا أَنا =

وأما دليل الصيام؛ فقوله تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلى الَّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقونَ﴾(١).

وأما دليل الحج؛ فقوله تعالى: ﴿وَلِلهِ على النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبيلاً﴾(٢).

● سؤال: وإذا قيل لك: هل يقبل الله ديناً غير الإسلام؟

* جواب: فقل: لا، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ في الآخِرَةِ مِنَ الخاسِرينَ﴾(٣).

● سؤال: وإذا قيل لك: ما معنى لا إله إلا الله؟

* جواب: فقل: لا معبود بحق إلّا الله، (لا إله): نفي، (إلّا

= فاعْبُدونِ﴾.

وهٰذا هو تفسير التوحيد.

(١) يقول الله تعالى آمراً هٰذه الأمة بالصيام، وهو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع بنية خالصة لله عزَّ وجلَّ؛ لما فيه من زكاة النفوس، وطهارتها، وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة.

وذكر أنه كما أوجبه عليهم؛ فقد أوجبه على من كان قبلهم، فلهم فيهم أسوة، وليجتهد هٰؤلاء في أداء هٰذا الفرض أكمل مما فعله أولٰئك.

(٢) هٰذه آية وجوب الحج، والسبيل: الزاد والراحلة.

(٣) قالت اليهود: فنحن مسلمون. قال الله عز وجل: فاخصمهم، فحجهم؛ يعني: فقال لهم النبي ﷺ: «إن الله فرض على المسلمين حج البيت من استطاع إليه سبيلا». فقالوا: لم يكتب علينا. فأبوا أن يحجوا، قال الله تعالى: ﴿ومَنْ كَفَرَ فإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عنِ العالَمينَ﴾.

الله): إثبات.

والمعنى: أنها تنفي الألوهية عمّا سوى الله، وتثبت العبادة لله وحده لا شريك له.

و (وحده): تأكيد للإثبات.

و (لا شريك له): تأكيد للنفي[1].

---

(١) قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز سلمه الله: لا بد أن تفهم وتعقلها: (لا إله إلّا الله) أفضل الكلام، وهي أصل الدين، وأساس الملة، وهي التي بدأ به الرسول قومه؛ أن قال: «قولوا لا إله إلّا الله؛ تفلحوا».

قال تعالى: ﴿وما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسولٍ إِلَّا نُوحي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلٰهَ إِلّا أَنا فاعْبُدونِ﴾.

وكل رسول يقول لقومه: ﴿اعْبُدوا اللهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ﴾.

فهي أساس الدين والملة، ولا بد أن يعرف قائلها معناها؛ فهي تعني أنه لا معبود بحق إلّا الله.

ولها شروط من اليقين، وعدم الشك بصحتها، والإخلاص لله في ذلك وحده، والصدق بقلبه ولسانه، والمحبة لما دلت عليه من الإخلاص لله، وقبول ذلك، والانقياد له، وتوحيده، ونبذ الشرك به، مع البراءة من عبادة غيره، واعتقاد بطلانها، وكل هذا من شرائط قول: لا إله إلّا الله، وصحة معناها، يقولها المؤمن والمؤمنة، مع البراءة من عبادة غير الله، ومع الانقياد للحق وقبوله، والمحبة لله، وتوحيده، والإخلاص له، وعدم الشك في معناها؛ فإن بعض الناس يقولها وليس مؤمناً بها؛ كالمنافقين الذين يقولونها وعندهم شك أو تكذيب؛ فلا بد من علم ويقين، وصدق وإخلاص، ومحبة وانقياد، وقبول وبراءة*.

---

* «مجموع الفتاوى» (٣ / ٤٩ ـ ٥٠).

● **سؤال: وإذا قيل لك: ما الدليل على ذلك؟**

*** جواب: فقل: هو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قالَ إِبْراهيمُ لأبيهِ وقَوْمِهِ إِنَّني بَراءٌ مِمَّا تَعْبُدونَ . إِلاَّ الَّذي فَطَرَني فَإِنَّهُ سَيَهْدينِ . وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً في عَقِبِهِ لَعلَّهُمْ يَرْجِعونَ﴾**[1].

---

(١) أخبر تعالى عن عبده ورسوله وخليله، إمام الحنفاء، ووالد من بعده من الأنبياء؛ أنه قال لأبيه آزر وقومه أهل بابل وملكهم النمرود، وكانوا يعبدون الأصنام: ﴿إِنَّني بَراءٌ﴾؛ أي: بريء ﴿ممَّا تعبدونَ﴾ من الأوثان.

وهٰذا فيه معنى (لا إله).

وقوله: ﴿فطرني﴾؛ أي: ابتدأ خلقي وبرأني.

وفيه معنى (إلاّ الله).

فدلت الآية على ما دلت عليه (لا إله إلاّ الله)، ولهٰذا يقال للام النافية للجنس عند النحاة: لام التبرئة؛ فالخليل عليه السلام تبرأ من آلهتهم سوى الله، ولم يتبرأ من عبادة الله، بل استثنى من المعبودين ربه.

وقوله: ﴿سيهدين﴾؛ أي: يرشدني لدينه القويم وصراطه المستقيم.

وقد أمرنا الله تعالى أن نتأسى به؛ كما قال تعالى: ﴿قَد كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ في إِبْراهيمَ. . .﴾.

وقوله: ﴿يرجعون﴾؛ أي: وجعل كلمة التوحيد (وهي: لا إله إلاّ الله) باقية في نسله وذريته، يقتدي به فيها من هداه الله من ذريته؛ ﴿لعلَّهم﴾؛ أي: لعل أهل مكة وغيرهم، ﴿يرجعون﴾ إلى دين إبراهيم الخليل.

والكلمة هي: لا إله إلاّ الله؛ بإجماع المفسرين.

فعبر عن معنى (لا إله) بقوله: ﴿إِنَّني بَراءٌ مِمَّا تَعْبُدونَ﴾، وعبر عن معنى (إلاّ الله) بقوله: ﴿إِلاَّ الَّذي فَطَرَني﴾.

فتبين أن معنى (لا إلـه إلاّ الله): هو البـراءة من عبـادة كل ما سوى الله، =

● **سؤال: وإذا قيل لك: ما أصل دين الإسلام؟ وما قاعدته؟**

* **جواب: فقل: أمران: أحدهما: أن نعبده بما شرع، لا نعبده بالبدع.**

ودليل الأمر الأول: قوله تعالى: ﴿قُلْ يا أَهْلَ الكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ ولا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً﴾(١).

ودليل الأمر الثاني: قوله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا؛

= وإخلاص العبادة بجميع أنواعها لله؛ كما تقدم.

وبين تعالى معنى (لا إله إلّا الله) في آيات كثيرة من كتابه يتعذر حصرها.

من «حاشية ابن قاسم» (ص ٤٧ ـ ٤٨).

(١) أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يقول لأهل الكتاب اليهود والنصارى: ﴿تعالَوْا﴾؛ أي: هلموا. ﴿إلى كَلِمَةٍ﴾: واحدة لا غير، والكلمة تطلق على الجملة المفيدة؛ كما هنا. ﴿سَواءٍ بَيْنَنا وبَيْنَكُم﴾؛ أي: عدل ونَصَف، لا يختلف فيها رسول ولا كتاب، نستوي نحن وأنتم في فرضيتها ووجوبها علينا وعليكم.

﴿ولا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً﴾: لا صنماً، ولا صليباً، ولا طاغوتاً، ولا ناراً، ولا صالحاً.

وقوله: ﴿فإنْ تَوَلَّوْا فَقولوا اشْهَدوا بِأنَّا مُسْلِمونَ﴾؛ أي: إن امتنعوا وأدبروا وأعرضوا عن الإجابة إلى إفراد الله بالعبادة؛ فقولوا أنتم يا أمة محمد لهم: اشهدوا بأنا مسلمون مخلصون لله بالتوحيد دونهم؛ أي: صرحوا لهم مشافهة أنكم مسلمون، وأنهم كفار، وأنكم برآء منهم، وأنهم برآء منكم.

وهٰذا دال على أنه لا بد أن تبين للكفار حتى يفهموا ويتحققوا أنهم ليسوا على دين، وأن دينك خلاف دينهم الذي هم عليه، وأن دينهم خلاف دينك.

انتهى من «حاشية ابن قاسم» (ص ٤٨ ـ ٤٩).

فهو رد»؛ أي: مردود عليه، غير مقبول.

● سؤال: وإذا قيل لك: ما معنى الإيمان لغةً وشرعاً؟

* جواب: فقل: معناه لغة: التصديق، وشرعاً: تصديق الرسول ﷺ فيما جاء به من ربه.

● سؤال: وإذا قيل لك: كم أركان الإيمان؟

* جواب: فقل: ثلاثة: قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان.

● سؤال: إذا قيل لك: كم أصول الإيمان؟

* جواب: فقل: ستة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى[1].

● سؤال: وإذا قيل لك: ما الدليل على ذلك؟

* جواب: فقل:

قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ والمُؤْمِنونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ولكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ والمَلائِكَةِ

---

(١) أي: أصول الإيمان التي تركب منها والتي يزول بزوالها ستة أركان، ويكون بزوال الواحد من تلك الستة كافراً كفراً يخرج من الملة، وما عداها لا يزول بزواله، لكن منها ما يزول بزواله كمال الإيمان الواجب، ومنها ما يزول بزواله كمال الإيمان المندوب.

والكِتابِ والنَّبِيِّينَ﴾[1].

ودليل القدر: قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ﴾.

● سؤال: وإذا قيل لك: كم الأنبياء؟ وكم الرسل منهم؟ ومن هم أولو العزم؟ ومن أول الرسل؟

* جواب: فقل: جملتهم مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، والرسل منهم ثلاث مئة وثلاثة عشر، وأولو العزم منهم خمسة، ذكرهم الشاعر بقوله:

مُحَمَّدٌ إِبْراهِيمُ مُوسى كَلِيمُهُ
وَنوحٌ وعيسى هُمْ أُولو العَزْمِ فَاعْلَمِ

وأول الرسل نوحٌ، وآخرهم محمد، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين[2].

---

(١) قد اشتملت هٰذه الآية على جمل عظيمة وعقيدة مستقيمة، وروي أنه ﷺ سئل عن الإيمان، فتلا هٰذه الآية: ﴿لَيْسَ البِرَّ﴾: وهو كل عمل خير يفضي بصاحبه إلى الجنة. ﴿أَنْ تُوَلُّوا وُجوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ﴾؛ أي: ليس البر كله أن تصلوا إلى بيت المقدس إن لم يكن أمر الله وشرعه، وذلك لمّا حُوِّلوا إلى الكعبة؛ أي: ولٰكن البر امتثال أوامر الله واتباع ما شرع... إلخ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ﴾؛ أي: ما خلقناه؛ فمقدور، مكتوب في اللوح المحفوظ.

(٢) اعلم أن حاجة الخلق إلى إرسال الرسل وبعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ضرورة؛ لا ينتظم لهم حال، ولا يصلح لهم دين ولا بال؛ إلّا بذٰلك؛ فهم أشد احتياجاً إلى ذٰلك من إرسال المطر والهواء، بل ومن النفس الذي لا بد لهم منه؛ =

. . . . . .

= كما في «مفتاح دار السعادة» للمحقق ابن القيم رحمه الله تعالى.

فإن إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وشرع الشرائع: منة من الله تعالى، وفضل لا واجب عليه ذلك، وإنما هو على سبيل اللطف بالخلق والفضل عليهم.

فبعثه تعالى جميع الرسل من آدم إلى محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين إلى المكلفين: لطف من الله بهم؛ ليبلغوهم عنه سبحانه أمره ونهيه، ووعده ووعيده، ويبينوا لهم عنه سبحانه ما يحتاجون إليه من أمور المعاش والمعاد مما جاؤوا به من شرائعهم وأحكامهم التي أنزلها الله تعالى في كتبه عليهم.

قوله: «فجملتهم مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً»:

قال العلامة السفاريني: وتقدم أن جميع الأنبياء عليهم السلام من لدن آدم إلى خاتمهم نبينا محمد ﷺ مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، وأنَّ الرسل منهم ثلاث مئة وثلاثة عشر.

ففي «صحيح ابن حبان» من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه؛ قال: دخلت المسجد؛ فإذا رسول الله ﷺ جالس وحده... فذكر حديثاً طويلاً، وفيه: قلت: يا رسول الله! كم الأنبياء؟ قال: «مئة ألف وعشرون ألفاً». قلت: يا رسول الله! كم الرسل من ذلك؟ قال: «ثلاث مئة وثلاثة عشر جمّاً غفيراً». قلت: يا رسول الله! من كان أولهم؟ قال: «آدم عليه السلام». قلت: يا رسول الله! أنبي مرسل؟ قال: «نعم؛ خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وكلّمه قبلاً». ثم قال: «يا أبا ذر! أربعة سريانيون: آدم وشيث وأخنوخ (وهو: إدريس) - وهو أول من خط بالقلم - ونوح. وأربعة من العرب: هود وصالح وشعيب ونبيك محمد ﷺ وعليهم أجمعين». قلت: يا رسول الله! كم كتاباً أنزله الله؟ قال: «مئة كتاب وأربعة كتب، أنزل على شيث خمسون صحيفة، وأنزل على أخنوخ ثلاثون صحيفة، وأنزل على إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان...» الحديث. =

. . . . . .

= وقد تكلم عليه الولي العراقي، وردَّ على ابن حبان جماعة من الحفاظ؛ لإدخاله هٰذا الحديث في «الصحيح».

وفي كتاب «شرح الإيمان والإسلام» لشيخ الإسلام ابن تيمية روَّح الله روحَه، في قول الإمام أحمد رضي الله عنه في الرسل وعددهم، وأنه يجب الإيمان بهم، ويصح الإقرار بهم في الجملة، مع الكف عن عددهم، وكذٰلك ذكر محمد بن نصر المروزي، وغيرهما من أئمة السلف؛ قال:

وهٰذا يبين أنهم لم يعلموا عدد الكتب والرسل، وأن حديث أبي ذر في ذٰلك لم يثبت عندهم. انتهى.

والإمام أحمد رضي الله عنه ذكر ذٰلك إلزاماً لمن لم يقل بزيادة الإيمان، من أجل أنهم لا يدرون ما زيادته؟ وأنها غير محدودة، فقال: ما تقولون في أنبياء الله وكتبه ورسله؟ هل تقرون بهم في الجملة وتزعمون أنه من الإيمان؟ فإذا قالوا: نعم. قيل لهم: هل تحدّونهم وتعرفون عددهم؟ أليس إنما تصيرون في ذٰلك إلى الإقرار بهم في الجملة، ثم تكفون عن عددهم؟

وهٰذا ظاهر في عدم معرفة عدد الأنبياء والرسل والكتب.

وقد ذكر أهل العقائد في عقائدهم هٰذا العدد؛ معتمدين على حديث أبي ذر، على ما فيه.

وقد روي أن الأنبياء ألف ألف ومئة ألف، والمشهور في الكتب أنهم مئة ألف وأربعة عشر ألفاً.

وتقدم أن الواجب الإيمان بهم جملة؛ لقوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنا عَلَيْكَ ومِنْهُم مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾.

فالواجب الإيمان بجميعهم إجمالاً، وتفصيلاً فيمن ذكره الله تعالى في كتابه العزيز*.

---

* «لوامع الأنوار البهية» (٢ / ٢٦٣ - ٢٦٤).

● سؤال: وإذا قيل لك: كم أنزل الله من الكتب السماوية؟

* جواب: فقل: مئة صحيفة وأربعة كتب.

● سؤال: وإذا قيل لك: ما هي الكتب؟

* جواب: فقل: هي التوراة، وأنزلت على موسى. والإنجيل، وأنزل على عيسى. والزبور، وأنزل على داود. والقرآن، وأنزل على محمد ﷺ.

● سؤال: وإذا قيل لك: هل جاء دليل صحيح على بيان عدد الأنبياء والرسل وعلى بيان عدد الكتب؟

* جواب: فقل: ورد حديث في ذلك عن أبي ذر الغفاري عن النبي ﷺ يدل على ما ذكرناه من التفصيل، والله أعلم بصحته.

ولهذا يجب على كل مسلم أن يؤمن بالأنبياء والرسل والكتب والصحف إيماناً إجماليّاً؛ فقد قال تعالى: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْناهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ورُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وكَلَّمَ اللهُ موسى تَكْليماً﴾.

● سؤال: وإذا قيل لك: هل يجب الإيمان بما في التوراة والإنجيل اللذين عند اليهود والنصارى اليوم؟

* جواب: فقل: ما فيهما موافق للقرآن؛ فهو حق يجب الإيمان به، وما فيهما مخالف للقرآن؛ فهو باطل يجب إنكاره واعتقاد بطلانه[1].

---

(١) أخرج النسائي في «سننه» وابن جرير في «تفسيره» عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: كانت ملوك بعد عيسى عليه السلام، بدلوا التوراة والإنجيل، وكان =

. . . . . .

= بينهم مؤمنون يقرؤون التوراة والإنجيل، فقيل لملوكهم: ما نجد شتماً أشد من شتم يشتمونا هؤلاء، إنهم يقرؤون: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون؛ مع ما يعيبونا به في أعمالنا في قراءتهم؛ فادعهم؛ فليقرؤوا كما نقرأ، وليؤمنوا كما نؤمن. فدعاهم، فعرض عليهم القتل، أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل؛ إلّا ما بدّلوا فيها. فقالوا: ما تريدون إلى ذلك؟ دعونا! فقالت طائفة منهم: ابنوا لنا أسطواناً، ثم ارفعونا إليها، ثم أعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا ولا نرد عليكم. وقالت طائفة منهم: دعونا نسيح في الأرض، ونهيم، ونشرب كما يشرب الوحش، فإن قدرتم علينا في أرضكم؛ فاقتلونا. وقالت طائفة: ابنوا لنا دوراً في الفيافي، ونحتفر الآبار، ونحترث البقول، ولا نرد عليكم، ولا نمر بكم. وليس أحد من القبائل؛ إلّا وله فيهم حميم، ففعلوا ذلك، فأنزل الله: ﴿ورَهْبانِيَّةً ابْتَدَعوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللهِ فَما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها﴾. والآخرون قالوا: نتعبَّد كما تعبَّد فلان، ونسيح كما ساح فلان، وهم على شركهم، لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم.

فلمّا بعث النبي ﷺ، ولم يبق منهم إلّا القليل؛ انحط رجل من صومعته، وجاء رجل من سياحته، وصاحب الدير في ديره، فآمنوا به، وصدقوه، فقال تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللهَ وآمِنوا بِرَسولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾؛ يعني: أجرين؛ بإيمانهم بعيسى وبالتوراة والإنجيل، وإيمانهم بمحمد ﷺ وتصديقهم، ﴿ويَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشونَ بِهِ﴾: القرآن واتباعهم النبي ﷺ. قال: ﴿لِئلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتابِ﴾: الذين يتشبهون بكم، ﴿أَلَّا يَقْدِرونَ على شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ وأَنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشاءُ واللهُ ذو الفَضْلِ العَظيمِ﴾.

وقد ذكر الإمام العلامة أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر ابن القيم، طرفاً من شرح هذه الجملة، وأن دين المسيح تناسخ واضمحل؛ قال:

ولم يبق بأيدي النصارى منه شيء، بل ركبوا ديناً بين دين المسيح ودين الفلاسفة عباد الأصنام، وراموا بذلك أن يتلطفوا للأمم حتى يدخلوا في النصرانية، =

● **سؤال: وإذا قيل لك: ما الإحسان؟**

*** جواب: فقل: هو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه؛ فإنَّهُ يَراكَ**(١).

= فنقلوهم من عبادة الأصنام المجسدة إلى الصور التي لا أصل لها، ونقلوهم من السجود للشمس إلى السجود إلى جهة المشرق، ونقلوهم من القول باتحاد العاقل والمعقول والعقل إلى القول باتحاد الأب والابن وروح القدس.

هٰذا؛ ومعهم بقايا من دين المسيح؛ كالختان، والاغتسال من الجنابة، وتعظيم السبت، وتحريم الخنزير، وتحريم ما حرمته التوراة؛ إلّا ما أحلّ لهم بنص الإنجيل.

ثم تناسخت الشريعة، إلى أن استحلوا الخنزير، وأحلوا السبت، وعوضوا منه يوم الأحد، وتركوا الختان، والاغتسال من الجنابة، وكان المسيح يصلي إلى بيت المقدس، فصلوا هم إلى المشرق، ولم يعظم المسيح صليباً قط، فعظموا هم الصليب، وعبدوه، ولم يصم المسيح صومهم هٰذا أبداً، ولا شرعه، ولا أمر به ألبتة، بل هم وضعوه على العدد، ونقلوه إلى زمن الربيع، فجعلوا ما زادوا فيه من العدد عوضاً عن نقله من الشهور الهلالية إلى الشهور الرومية، وتعبدوا بالنجاسات، وكان المسيح في غاية الطهارة والطيب والنظافة، وأبعد الخلق عن النجاسة، فقصدوا بذٰلك تغيير دين اليهود ومراغمتهم، فغيروا دين المسيح، وتقربوا إلى الفلاسفة عباد الأصنام؛ بأن وافقوهم في بعض الأمر؛ ليرضوهم به، وليستنصروا بذٰلك على اليهود*.

(١) الإحسان نهاية الإخلاص، والإخلاص هو إيقاع العمل على أكمل وجوهه في الظاهر والباطن؛ بحيث يكون قائماً به في الباطن والظاهر على أكمل الوجوه، وهٰذا هو الإحسان، ولذا يفسر بالإخلاص، واشتقاقه من الحسن، نهاية الإخلاص، الناشىء عن حقيقة الاستحضار، ومن حيث الظاهر كمال المتابعة، =

---

* «منحة القريب المجيب في الرد على عبّاد الصليب» (ص ٢٢ - ٣٤).

● **سؤال: وإذا قيل لك: هل يبعث الناس بعد الموت؟**

*** جواب: فقل: نعم، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿مِنْها**

= وتفسيره بالإخلاص تفسير له بنتيجته وثمرته؛ فإن من يتصف بذلك؛ فإنه يكمل العمل في الظاهر والباطن.

فالإحسان أعلى المراتب وأعمها من جهة نفسها، وأخصها من جهة أصحابها، ولهذا يقال: كل محسن مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً محسناً، وكلما أطلق الإحسان؛ فإنه يدخل فيه الإيمان والإسلام؛ فإن الإسلام والإيمان والإحسان دوائر، أوسعها دائرة الإسلام، ثم يليها في السعة الإيمان، ثم أضيقها الإحسان؛ كدوائر كل واحدة منها محيطة بالأخرى، ومعلوم أن من كان في دائرة الإحسان؛ فهو داخل في الإسلام والإيمان، وإذا خرج عن الأولى؛ فهو داخل في الثانية، وهي دائرة الإيمان، وإذا خرج عنها؛ فهو داخل في الثالثة، وهي دائرة الإسلام، ومن خرج عن هذه الدوائر الثلاث؛ فهو خارج إلى غضب الله وعقابه، وداخل في دوائر الشيطان والعياذ بالله.

فظهر بالتمثيل بهذه الدوائر صحة قول من قال: كل محسن مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً محسناً؛ فلا يلزم من دخوله في الإسلام أن يكون داخلاً في الإحسان والإيمان، وليس المراد أن من لم يكن في الإحسان والإيمان أن يكون كافراً، بل يكون مسلماً، ومعه من الإيمان ما يصحح إسلامه، لكن لا يكون مؤمناً الإيمان الكامل الذي يستحق أن يثنى عليه به؛ فإنه لو كان مؤمناً الإيمان الكامل؛ لمنعه من المعاصي والمحرمات.

وقيل للنبي ﷺ: أعطيتهم وتركت فلاناً وهو مؤمن؟! فقال: «أو مسلم».

وقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه؛ فهو يراك».

فهذا قطعة من حديث طويل*.

---

* «حاشية الشيخ ابن قاسم على الأصول الثلاثة» (ص ٦٤ ـ ٦٥).

خَلَقْناكُمْ وَفيها نُعيدُكُمْ وَمِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرى﴾[1].

(١) اعلم أن المعاد الجسماني حق واقع دل عليه النقل الصحيح، فوجب الإيمان به والتصديق، وهو أن يبعث الله تعالى الموتى من القبور؛ بأن يجمع أجزاءهم الأصلية، ويعيد الأرواح إليها؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْييها الَّذي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ. . .﴾ إلى غير ذٰلك من النصوص القرآنية والأحاديث الساطعة النبوية.

قال الإمام المحقق ابن القيم في كتابه «الروح» ـ كشيخه ابن تيمية وغيرهما ـ: معاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى.

أخرج ابن جرير وابن المنذر والبيهقي وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: جاء العاص بن وائل إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل، ففته بيده، فقال: يا محمد! يحيي الله هٰذا بعدما أرمّ؟ قال: «نعم؛ يبعث الله هٰذا، ثم يميتك، ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم». فنزلت الآية من آخر يٰسٓ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسانُ. . .﴾ إلى آخر السورة.

وهٰذا نص صريح في الحشر الجسماني، يقطع عرف التأويل بالكلية.

واعلم أنه يجب الجزم شرعاً أن الله تعالى يبعث جميع العباد، ويعيدهم بجميع أجزائهم الأصلية، وهي التي شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره، ويسوقهم إلى محشرهم لفصل القضاء؛ فإن هٰذا حق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة:

قال الله تعالى: ﴿وأَقْسَموا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَموتُ بَلى وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً ولٰكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذينَ كَفَروا أَنْ لَنْ يُبْعَثوا قُلْ بَلى ورَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ تُبعثون﴾.

والآيات في ذٰلك كثيرة جدّاً.

وأمّا الأحاديث؛ فكثيرة جدّاً:

ففي البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: سمعت =

● **سؤال: وإذا قيل لك: هل يكفر منكر البعث؟**

*** جواب: فقل: نعم، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذين كَفَروا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِما عَمِلْتُمْ وَذٰلِكَ عَلى اللهِ يَسِيرٌ﴾**(١).

= رسول الله ﷺ يخطب على المنبر؛ يقول: «إنكم ملاقو الله حفاة عراة غرلاً»، وفي رواية: «مشاة».

الغرل: بضم الغين المعجمة وإسكان الراء، جمع أغرل، وهو الأقلف.

ومثله في «الصحيحين» من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها؛ قالت: فقلت: الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: «الأمر أشد من أن يهمهم ذلك».

وروي نحوه من حديث أم سلمة رضي الله عنها، وفيه: فقالت أم سلمة: فقلت: يا رسول الله! وا سوأتاه! ينظر بعضنا إلى بعض؟ فقال: «شغل الناس». فقلت: ما شغلهم؟ فقال: «نشر الصحائف؛ فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل»*.

(١) قال العلامة السفاريني رحمه الله: فالمراد به المعاد الجسماني؛ فإنه المتبادر عند الإطلاق؛ إذ هو الذي يجب اعتقاده، ويكفر منكره.

قال الإمام المحقق ابن القيم في كتابه «الروح» ـ كشيخه وغيرهما ـ: معاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى.

وقال الجلال الدواني: هو بإجماع أهل الملل، وبشهادة نصوص القرآن؛ بحيث لا يقبل التأويل؛ كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِن نُطْفَةٍ فإِذا هُوَ خَصيمٌ مُبينٌ. وضَرَبَ لَنا مَثَلاً ونَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِي العِظامَ وهِيَ رَميمٌ. قُلْ يُحْييها الَّذي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَليمٌ﴾.

---

* «مختصر لوامع الأنوار البهية» (ص ٣٨٧ ـ ٣٨٨).

الأصل الثالث

● **سؤال: وإذا قيل لك: من نبيك؟**

*** جواب: فقل: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل، على نبينا وعليه أفضل الصلوات والتسليم**(١).

● **سؤال: وإذا قيل لك: كم سنه يوم وفاته؟**

---

(١) وهٰذا النسب ثابت بالتواتر والإجماع إلى عدنان.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: لٰكن لا خلاف بين أهل النسب وغيرهم من علماء أهل الكتاب أن عدنان من ولد إسماعيل نبي الله، وهو الذبيح على الصحيح من قول الصحابة والأئمة.

انتهى من «الفصول» (ص ٨٧).

وأمه ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، توفيت وله ست سنين، وقيل: أربع، وقيل: سبع، وقيل: ثمان، وهو الأرجح.

وتوفي والده وهو حمل على الصحيح.

* جواب: فقل: ثلاث وستون سنة، منها أربعون سنة قبل الرسالة، وثلاث وعشرون نبيّاً رسولاً[1].

● سؤال: وإذا قيل لك: بأي شيء نبىء؟

* جواب: فقل: بـ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ . خَلَقَ الإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ﴾[2].

● سؤال: وإذا قيل لك: بأيّ شيء أرسل؟

* جواب: فقل: أرسل بـ ﴿يا أَيُّها المُدَّثِرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ﴾[3].

---

(١) وكان عمره يوم مات ﷺ ثلاثاً وستين سنة على الصحيح؛ كما رواه البخاري.

(٢) لمّا أراد الله رحمة العباد وكرامته بإرساله إلى العالمين؛ حبب إليه الخلاء، فكان يتحنث في غار حراء، ففجأه الحق وهو بغار حراء، في رمضان، وله من العمر أربعون سنة، فجاءه الملك، فقال له: اقرأ. قال: «لست بقارىء»؛ ثلاثاً. ثم قال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ . خَلَقَ الإِنْسانَ مِن عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذي عَلَّمَ بِالقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ﴾.

(٣) بعد نزول ﴿اقرأ﴾ مكث رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يمكث، لا يرى شيئاً، وفتر عنه الوحي؛ فاغتمَّ لذلك، وذهب مراراً ليتردى من رؤوس الجبال، وذلك من شوقه إلى ما رأى أول مرة، من حلاوة ما شاهده من وحي الله إليه.

فقيل: إن فترة الوحي كانت قريباً من سنتين أو أكثر.

ثم تبدى له الملك بين السماء والأرض، على كرسي، وثبته، وبشره بأنه رسول الله ﷺ حقّاً، فلما رآه رسول الله ﷺ؛ فرق منه، وذهب إلى خديجة، وقال: «زملوني، دثروني». فأنزل الله عليه: ﴿يا أَيُّها المُدَّثِرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ﴾.

=

● **سؤال: وإذا قيل لك: ما الفرق بين النبي والرسول؟**

*** جواب: فقل: النبي إنسان أوحي إليه بشرع، وإن لم يؤمر بتبليغه، وإن أمر بتبليغه؛ فهو رسول أيضاً**[1].

● **سؤال: وإذا قيل لك: ما هي النسبة بين النبي والرسول؟**

*** جواب: فقل: العموم والخصوص والمطلق؛ فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً، والرسول أفضل من النبي إجمالاً؛ لتميزه بالرسالة التي هي أفضل من النبوة**[2].

= وكانت الحال الأولى حال نبوة وإيحاء.

ثم أمره الله في هٰذه الآية أن ينذر قومه ويدعوهم إلى الله، فشمر ﷺ عن ساق التكليف، وقام في طاعة الله أتم قيام؛ يدعو إلى الله سبحانه الكبير والصغير، والحر والعبد، والرجال والنساء، والأسود والأحمر، فاستجاب له عباد الله من كل قبيلة.

انتهى من «الفصول» (ص ٩٥ ـ ٩٧).

(١) وقد ذكروا فروقاً بين النبي والرسول، وأحسنها: أن من نبأه الله بخبر السماء: إن أمره أن يبلغ غيره؛ فهو نبي رسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره؛ فهو نبي وليس برسول.

فالرسول أخص من النبي؛ فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً.

ولٰكن الرسالة أعم من جهة نفسها؛ فالنبوة جزء من الرسالة؛ إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها؛ بخلاف الرسل؛ فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، بل الأمر بالعكس؛ فالرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها.

انتهى من (ص ١١٠) من «شرح الطحاوية».

(٢) تقدم الفرق بين النبي والرسول.

وإرسال الرسل من أعظم نعم الله على خلقه؛ فبعثه تعالى جميع الرسل من =

● سؤال: وإذا قيل لك: هل من الملائكة رسل؟

* جواب: فقل: نعم؛ منهم رسل، وليس فيهم أنبياء.

فعلى هٰذا الاعتبار تكون النسبة بين النبي والرسول العموم والخصوص الوجهي؛ فيجتمعان في النبي والرسول، وينفرد الرسول في الملك، والنبي في البشر.

● سؤال: وإذا قيل لك: هل أرسل نبينا محمد ﷺ للناس كافة أم لبعضهم؟

* جواب: فقل: أرسل للناس كافة؛ عربهم وعجمهم، إنسهم وجنهم.

= آدم إلى محمد ﷺ وعليهم أجمعين إلى المكلفين؛ لطفاً من الله بهم؛ ليبلغوهم عنه سبحانه أمره ونهيه، ووعده ووعيده، ويبينوا لهم عنه سبحانه ما يحتاجون إليه من أمور المعاش والمعاد مما جاؤوا به من شرائعهم وأحكامهم التي نزلها الله في كتبه عليهم اختصاصاً؛ كالقرآن العظيم، واشتراكاً؛ كالتوراة لموسى وهارون ويوشع ومن بعدهم إلى عيسى عليه وعليهم السلام، حتى تقوم الحجة عليهم بالبينات، وتنقطع عنهم سائر التعللات:

كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً . . .﴾ الآية.

وقوله تعالى: ﴿وما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حتَّى نَبْعَثَ رَسولاً﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَرُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكونَ لِلنَّاسِ على اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾.

انتهى من «مختصر لوامع الأنوار البهية» (ص ٤٤٩).

● **سؤال: وإذا قيل لك: ما الدليل على ذلك؟**

* **جواب: فقل: قوله تعالى: ﴿وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا كافَّةً لِلنَّاسِ﴾، وقوله تعالى: ﴿يا أَيُّها النَّاسُ إِنِّي رَسولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَميعاً﴾**(١).

● **سؤال: وإذا قيل لك: ما الدليل على أن محمداً نبينا خاتم الأنبياء؟**

* **جواب: قوله تعالى: ﴿ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ ولٰكِنْ رَسولَ اللهِ وَخاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾**(٢).

---

(١) أما كونه ﷺ مبعوثاً إلى عامة الجن؛ فقال تعالى حكاية عن قول الجن: ﴿يا قَوْمَنا أَجِيبوا داعِيَ اللهِ﴾، وكذا سورة الجن تدل على أنه أرسل إليهم أيضاً.

والرسل من الإنس فقط، وليس من الجن رسول.

وقال ﷺ: «أُعطيت خمساً لم يُعطهنَّ أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً؛ فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة؛ فليصل، وأحلَّت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة». أخرجاه في «الصحيحين».

وقال ﷺ: «لا يسمع بي رجل من هٰذه الأمة؛ يهودي، ولا نصراني، ثم لا يؤمن بي؛ إلا دخل النار». رواه مسلم.

انتهى من «شرح الطحاوية» (ص ١١٩ - ١٢٠).

(٢) وثبت عنه من غير وجه أنه لا نبي بعده، وأجمع المسلمون على ذلك، واشتهر كذب من ادعى النبوة بعده، وأخبر ﷺ بذلك؛ أنه سيأتي بعده كذابون دجالون ثلاثون؛ كلهم يزعم أنه نبي، ووقع ما أخبر به ﷺ.

وعيسى بن مريم إذا نزل في آخر الزمان إنما يحكم بشريعة محمد ﷺ؛ فهو من أمته بإجماع المسلمين.

«حاشية الأصول الثلاثة» (ص ٩١).

● سؤال: وإذا قيل لك: بأي مكان ولد؟ وبأي مكان توفي؟

* جواب: فقل: ولد بمكة، وأول ما أوحي إليه بها، وتوفي بالمدينة، بعدما هاجر إليها، ودفن جسمه، وبقي علمه، نبي لا يُعبد، ورسول لا يُكذب، بل يُطاع ويُتبع، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين[1].

● سؤال: وإذا قيل: كم أجداد النبي ﷺ إلى عدنان؟

* جواب: فقل: هم واحد وعشرون، وجمعهم بعض العلماء بقوله:

أَبـوهُ عَبْـدُ اللهِ عَبْـدُ المُطَّلِبْ
وَهـاشِمٌ عَبْدُ مَنافٍ قَدْ حُسِبْ
ثُمَّ قُصَـيٌّ وَكِـلابُ مُرَّةْ
كَعْـبٌ لُؤَيٌّ لِلْكِـرامِ غُرَّةْ
وَغـالِبٌ فِهْـرٌ وَمـالِـكُ النَّضِـرْ
كِنـانَـةٌ خُزَيْـمَـةٌ بِهِ افْتُخِـرْ

---

(١) هو سيد ولد آدم، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب.

ولد ﷺ بمكة عام الفيل يوم الاثنين على الأشهر.

مُدْرِكَــةٌ إِلْــيــاسُ ثُمَّ مُضَــرُ
نِزَارٌ أَيْضــاً وَمَـعَــدٌّ ذَكَــروا
ثُمَّ عَدْنــانٌ وَعِــنْــدَهُ وَقَــفْ
مُتَّفِقُ الأَقْـوالِ عِنْدَ مَنْ سَلَفْ

● سؤال: وإذا قيل لك: من هم أولاد النبي ﷺ؟

* جواب: فقل: هم القاسم وعبد الله، وهو الطاهر والطيب، ولد له في الإسلام، وبعضهم يقول: المطهر والمطيب، ويجعلهم آخرين غير عبد الله، وإبراهيم بن مارية القبطية، وفاطمة، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وكلهم من خديجة؛ إلا إبراهيم[1].

● سؤال: وإذا قيل لك: من هن زوجات النبي ﷺ؟

---

(١) أولاده ﷺ:

أولهم: القاسم، وبه كان يكنى، مات طفلاً، وقيل: عاش إلى أن ركب على الدابة.

ثم زينب، وقيل: إنها أسن من القاسم.

ثم رقية وأم كلثوم وفاطمة.

ثم ولد عبد الله على الصحيح، ويسمى: الطيب والطاهر، ومات بمكة طفلاً.

ثم ولد له إبراهيم بالمدينة سنة ثمان من الهجرة، وبشره به أبو رافع مولاه، فوهب له عبداً.

وكل أولاده ﷺ من خديجة؛ إلا إبراهيم؛ فإنه من مارية بنت شمعون القبطية.

وكلهم توفوا قبله؛ إلا فاطمة؛ فإنها عاشت بعده ستة أشهر على الصحيح.

* جواب: فقل: أولهن خديجة، ثم سودة، ثم عائشة، ثم حفصة، ثم أم سلمة، ثم جويرية بنت الحارث، ثم زينب بنت جحش، ثم زينب بنت خزيمة، ثم ركانة بنت زيد، ثم أم حبيبة بنت أبي سفيان، ثم صفية بنت حيي، ثم ميمونة بنت الحارث؛ رضوان الله تعالى عليهن.

● سؤال: وإذا قيل لك: كم زوجاته اللاتي توفي ﷺ عنهن؟

* جواب: فقل: تسع، ذكرهن بعضهم بقوله:

تُوُفِّي رَسُولُ اللهِ عَنْ تِسْعِ نِسْوَةٍ
إِلَيْهِنَّ تُعْزى المَكْرُماتُ وتُنْسَبُ
فَعائِشَةٌ مَيْمونَةٌ وَصَفِيَّةٌ
وَحَفْصَةُ تَتْلوهُنَّ هِنْدٌ وَزَيْنَبُ
جُوَيْرِيَّةٌ مَعْ رَمْلَةٍ ثُمَّ سَوْدَةٌ
ثَلاثٌ وَسِتٌّ ذِكْرُهُنَّ مُهَذَّبُ[1]

---

(١) زوجاته ﷺ:

أولهن: أم هند، خديجة بنت خويلد القرشية الأسدية.

ثم تزوج ﷺ بعد موتها بأيام سودة بنت زمعة القرشية الغامدية.

ثم تزوج أم عبد الله عائشة بنت أبي بكر الصديق في شوال، وهي بنت ست أو سبع، وبنى بها في شوال على رأس ثمانية أشهر من مهاجره على الصحيح، وهي ابنة تسع، ولم يتزوج بكراً غيرها.

ثم تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب، وطلقها، فأتاه جبريل عليه السلام، وقال: «إن الله يأمرك أن تراجع حفصة؛ فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة». =

. . . . . .

= ثم تزوج زينب بنت خزيمة بن الحارث القيسية، أم المساكين.

ثم تزوج أم سلمة هند بنت أمية القرشية المخزومية.

ثم تزوج ابنة عمته زينب بنت جحش، وفيها نزل قوله تعالى: ﴿فلمَّا قَضى زَيدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها﴾.

ثم تزوج جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الأزدية الخزاعية المصطلقية.

ثم تزوج ريحانة بنت زيد النضرية، وقيل: القرظية، سبيت يوم بني قريظة، وكانت صفيَّ رسول الله ﷺ المختارة، فأعتقها وتزوجها، ثم طلقها تطليقة، ثم راجعها.

ثم تزوج أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب القرشية الأموية.

ثم تزوج صفية بنت حيي بن أخطب النضرية، من ولد هارون، سباها رسول الله ﷺ يوم خيبر، وتزوجها، وجعل عتقها صداقها.

ثم تزوج ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية.

هؤلاء نساؤه المدخول بهن، ثنتا عشرة امرأة.

توفي منهن في حياته ثلاث:

خديجة، بمكة، لعشر خلت من شهر رمضان، قبل الهجرة بثلاث على الأصح، بعد وفاة أبي طالب على المشهور بثلاثة أيام، وقيل: بشهر، وقيل: بخمسة أيام.

وزينب بنت خزيمة، في آخر ربيع الأول، في السنة الرابعة من الهجرة، وصلى عليها النبي ﷺ، ودفنها بالبقيع.

وريحانة، ماتت مرجعه من حجة الوداع، على الراجح.

ومات ﷺ عن التسع الباقيات.

وأولهن لحوقاً به ـ كما أخبر ﷺ ـ زينب بنت جحش، ماتت سنة عشرين.

وآخرهن موتاً أم سلمة، في شوال سنة اثنتين وستين، في ولاية يزيد بن =

. . . . . .

●●●●●

= معاوية.

وأما من لم يدخل بهن، ومن وهبت نفسها له، ومن خطبها ولم يتفق تزوجها؛ فثلاثون امرأة على اختلاف في بعضهن.

وما ذكرناه من ترتيب زوجاته ﷺ هو الأشهر؛ كما ذكره الحافظ أبو محمد عبد العظيم المنذري، وبه جزم تلميذه شرف الدين الدمياطي، رحمهما الله، وفي بعضه خلاف، نبهت عليه في «المختصر الكبير».

وسراريه ﷺ:

قال أبو عبيدة: كان له أربع:

ـ مارية: وهي أم ولده إبراهيم.

ـ وريحانة، وقد سبق ذكرها.

ـ وجارية أخرى جميلة أصابها في السبي.

ـ وجارية وهبتها له زينب بنت جحش.

انتهى من «المختصر الندي في سيرة النبي ﷺ» للعز بن جماعة (ص ٤٧ ـ ٥٤).

والحمد لله أولاً وآخراً، على تمام هذه الحاشية، في يوم السبت، الموافق الخامس والعشرين من شهر ذي الحجة، للعام الرابع عشر وأربع مئة وألف هجرية، بعد صلاة المغرب، بمدينة الأحساء.

قال ذلك وكتبه: راجي عفو ربه الجليل، محمد بن عبد الرحمن بن حسين ابن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن إسماعيل المزني الحربي المدني.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.